الوجدان الشعبي للجماهير معتقدات راجت بأن الاعداء سيظلون في فلسطين سبعة ايام او سبعة اشهر او سبع سنين او سبعماية سنة . في الواقع لا يعنينا من هذا سوى شيء واحد هو وجود اعتقاد راسخ لدى الجماهير بأن الارض العربية الفلسطينية لا بد وان تتحرر يوما ما وان الاعداء لا بد ان يرحلوا والى غير رجعة عن بلادنا .

لقد كانت الفاجعة التي حصلت عام ١٩٤٨ بقيام دولة يهودية على انقاض الشعب الفلسطيني اكبر من ان يستطيع وجداننا ان يهضمها او يتقبلها . كانت الجماهير تنتظر يوم الخامس عشر من ايار لتحرر اراضيها من تكالب الغرباء . لقد كانت الفاجعة شيئا غريبا عجيبا لم يجد الغناء الشعبي ازاءه من تصرف سوى التفجع والذهول :

قال احوال الدهر خلتنا عجيبا — انتصار الخصم علينا غريبا
وبهذا الوقت شفت لكم عجيبا — سبع يا عرب في ثم ارنبا

وتتفجر ينابيع الحزن بهذه الكلمات :

قال عتابا وما بحطلك مذلة — والشكوى غير للمولى مذلة
الويش اللي نجح والسبع ذلا — وفسرخ اليوم يصطاد العقاب

في هذه الكلمات ندب الشاعر الفلسطيني وتفجع على مصيره وعكست الاغاني الشعبية الدهشة الكبيرة من الهزيمة . كما كانت مقاييس الشعب للاحداث تعتمد على المقارنة بين الكثرة والقلة وبين الرجال الابطال والانذال :

قيسوا بني اسرائيل كالفرسان — التي كانت تغازينا ونغزيها

وصارت الدار رمزا لما يكدس الانسان الفلسطيني احزانه فيه فهو يودعها ويتشوق اليها ويعدها بالشيد والحنا اذا عاد اليها :

جيت اودعك يا دار شملاي — غريب امسح دموعي شملاي
انا ان طال الزمان ومارد شملاي — عيوني من البكا بترشح دما

ويقول :

يا دار يا دار من عدنا كما كنا — لاطليك يا دار بعد الشيد بالحنا

لقد بكى الانسان الفلسطيني وندب لكنه لم يستسلم . ظل الفنان الشعبي الفلسطيني يغني ليوم النصر والعودة . حاول ان يناقش اسباب الهزيمة ولاحظ ان ذلك كامن في تفرق العرب وعدم اتحاد كلمتهم . ويبدو الفلسطيني في اغانيه الشعبية طالب تحرير وطالب وحدة وهو يربط الوحدة بالتحرير ويراهما امرين متلازمين :

قالوا خسارة العرب اكبر خسارة — اسلى هالجمع ما هو خسارة
على اللد وعلى الرملة خسارة — يدوسوها العدا ونحن عرب

ويصبح يوم التحرير حلما جماهيريا تهفو اليه قلوب الجماهير وتنتظره فهو اليوم الذي يغسل العار ويزيل الهزيمة والمذلة . لقد تصور شعبنا فرصة التحرير محصورة في الزعيم المحرر فغنى للزعماء واهتز طربا لتصريحاتهم وتحركاتهم وافتخر بهم . والفنان الشعبي يبدو تارة حزينا ينادي الزعيم المحرر المنتظر وتارة فخورا مترقبا :

يا ويلي وين الذي يحرر وطننا — يا ذكره بالملك شعشع وطنا
ولا بد يرتجع هو وطنا — لو نجوم السما بتسكب اطواب
بذكرك يا بطلنا طرب راسي — ياللي اسطولك باحياء الخصم راسي
قال عدوك في البحر لو كان راسي — بخيط العنكبوت بينسحب